علاقة القسم بالاستفهام في الكشف عنِ المعنى الكلّيّ لسورة الفجر

م . د . زينب عبد الزهرة هادي التميمي

الكلية التربوية المفتوحة

Zainababdulzahraa1979@gmail.com

The relationship of the oath with the interrogative in revealing the total meaning of Surat Al-Fajr

prof. Zainab abdulzahraa hadi al timimi (Ph.D.)
The Open Educational college

المستخلص

سورة الفجر المباركة هي من كلام الله الخالق المُوحِي به إلى خاتم الأنبياء والمرسلين(صلّى الله عليه وآله وسلّم) بلّغَهُ به جبريلُ (عليه السّلام) الّذي فيه خبر آخر الزّمان؛ والمتعمّق في تفسير هذه السورة العظيمة، سيتحصّل منها على فوائد وحكم كبيرة ، فقد حملت من الموعظة ما يعظُ الإنسانية جمعاء ؛ ولا سيّما في ما يتعلّق بقصص الأمم السابقة الّتي سردتْها ضربًا للأمثال ليتّعظَ النّاس من مصير مَن سبقهم، وقد كانت معالجتي من أجل فهْم مضمونها؛ هي دلالة السّياق؛ ولا شكّ في أنّ أيّ دارس للنّصّ القرآنيّ عندما يتطرّق إليه؛ فإنّه يجرّه إلى فهم معين، متأتٍّ من المعطيات السياقيّة الّتي يرتكز عليها في فهم النّصّ، ومن طبيعة المتلقّي من حيث التّكوين العقائديّ و الثّقافة المكتسبة، لذا تتعدّد المعاني عند كلّ دارس، أو مفسِّر بسببِ تلك المعطيات السّياقيّة، وبسبب التّكوين العقائديّ والثّقافيّ؛ لذا لجأت إلى الاستناد إلى تفسير أهل البيت(عليهم السلام) بحسب الرّوايات المعتبرة عنهم، فضلًا عن أسباب النّزول من أجل الوصول إلى مراد الشّارع بموضوعيّة علميّة وعقلانيّة.

الكلمات المفتاحية : النزول – القسم – السياق – المعنى – الفجر.

Abstract

The blessed Surat Al-Fajr is from the inspired words of God, the Creator, to the last of the Prophets and Messengers (may God's prayers and peace be upon him and his family), which was conveyed to him by Gabriel (peace be upon him), in which there is news of the end of time; And whoever delves deeply into the interpretation of this great surah, he will obtain from it great benefits and wisdom, as it carried from the sermon what he preaches to all humanity; Especially with regard to the stories of previous nations, which I recounted as proverbs, so that people would learn from the fate of those who preceded them. My process was in order to understand its content. It is the indication of the context; There is no doubt that any student of the Qur'anic text, when it deals with it; It draws it to a certain understanding, derived from the contextual data on which it is based in understanding the text, and from the nature of the recipient in terms of ideological formation and the acquired culture. Therefore, I resorted to relying on the interpretation of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) according to the accounts considered from them, as well as the reasons for descending in order to reach the goal of the street with scientific and rational objectivity.

Keywords: going down - oath - context - meaning – dawn.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ .

مقدَّمَة :

هناك فضائلُ خاصّة تختلفُ بحسب كلّ سورة من سُوَر القرآن الكريم؛ فهناك سورٌ وردَ فيها فضائل خاصّة في صحيح السّنّة النّبويّة، وهناك سورٌ لم يردْ في حقّها فضل خاصّ دون غيرها، وسورة الفجر من السُّوَر الّتي لم يردْ في صحيح السنّة ما يدلُّ على فضل تلاوتها بنحوٍ خاصّ، ولكنّها من السّور الّتي لها مقاصد جمّة في بيان أمور عظيمة تهمّ المسلمين قاطبة؛ كمصيبة الحسين(عليه السّلام) وعلاقتها بظهور الإمام المهديّ(عجّل الله فرجه الشّريف)؛ لذا جَهَدَ طائفة من اللّغويّين والنحويّين والمفسّرين والبلاغيّين أنفسَهم في محاولة إيجاد رابط بين أشكال اللّفظ وأشكال التّراكيب من جهة، وبين دلالاتها من جهة أخرى؛ حين نظروا في القرآن الكريم، ولا سيّما سورة الفجر؛ وقد بدا لي أنّ هذه الجهود متناثرة؛ فرأيت أنْ أدركَ شيئًا من سرّ الارتباط الحيويّ بين ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه، والعلاقة العضويّة بينهما؛ إذ إنّ الفهم المتولّد عن هذا التّرابط يُعدّ فضاءً رحبًا لا تضيق فيه الدّلالات المتآلفة من جوهر معنى اللّفظ والتّركيب.

ومن المعلوم أنّ المعنى لا يتحوّل من لفظ معجميّ مجرّد محدّد إلى تأويل أوسع إلّا بشغل اللّفظ في بنية تركيبيّة، وربط هذه البنية مع غيرها في سياق، والسّياق مع سياقات أخرى؛ لتسهم كلّها في إحداث تحوّل خطِر في شكل اللّغة وطاقاتها الإيحائيّة، وصولًا إلى التّعبير عن المكنونات الثاوية للدّلالات.

من هنا يمكن التّركيز في أنّ أيّ اختلال في التّوازن القائم بين الألفاظ والتّراكيب؛ يؤدّي إلى خلل في القصديّة والدّلالة، ويؤدّي إلى اضطراب في

نظمها وقوانينها؛ فعندئذٍ تندفع سطوة المعنى نحو النّفس؛ لتقدّم لها مستويات دلاليّة جديدة حُبالى بوجوه جديدة، واحتمالات كثيرة، وصور متعدّدة؛ تتطوّر، وتتعقّد، وتتعمّق؛ حين تحدث ولادة جديدة للقراءة على حَسَب تولّد الدلالة؛ وكلّ ذلك يحقّق التّماسك النّصّيّ الّذي لا يمكن فكّ عراه .

فكان لا بدّ من مراعاة المعنى في فهم حقيقة المراد من التّركيب، أو الجملة؛ قبل إعرابه، فإنّه فرع المعنى؛ فالمعاني الّتي تدلُّ عليها الحركات الإعرابيّة هي معانٍ مطلقة؛ فالنّظرُ في علم الإعراب، إنّما هو نظرٌ في حصول مطلق المعنى، وكيفيّة اقتباسه من اللّفظ المركّب فلا بدَّ من الإحاطة بصحّة التّركيب، ليأمن الخلط في تأدية المعاني وتحصيلها؛ بمعنى أنَّه في البَدء يحدّد الإعرابُ المعانيَ التي يؤدّيها التّركيب بعيدًا عن أيّ غرضٍ جزئيّ، ثمّ يفهم الفاعليّة والمفعوليّة والإضافة؛ إذ إنَّ هذه المعاني الثّلاثة تنحصر فيها كلُّ المعاني، ومنها تؤخذ الدّلالات جميعًا، ويؤسّس على ذلك أنّ معرفتها مقدّمة على غيرها؛ ومن هنا كان الاعتماد على العلامة الإعرابيّة، على أنّها كبرى الدّوالّ على المعنى، لذا لزمتنا دراستها في ضمن هذا البحث لتشيرَ إليه كلُّ علامةٍ منها، والعلمُ بأنَّ هذه الحركاتِ تختلف باختلاف موضع الكلمة من الجملة، وصلتها بما معها من الكلمات.

لذا جاء الهدف من هذا البحث تبيانًا لكيفيّةِ استخدام هذه اللّغةِ لتحقيق أهداف النّصّ القرآنيّ وغاياته، بدراسةٍ تربطُ النِّظامَ النَّحْويَّ واللّغويّ بالطّريقة الّتي وُظِّفَ فيها هذا النّظامُ لأداء المعاني، في ضوءِ إبراز العلاقة بين الإعراب واللّفظ والمعنى والتّركيب؛ إذ كلّما نظرنا إلى هذه القضايا مجتمعة من دون فصل بينهما تعدّدت المعاني والدلالات؛ لأنّ المتعمّق في تفسير هذه السّورة

العظيمة، سيقتنص فوائدَ وحكمًا كبيرة منها، فقد حملت من الموعظة ما يعظُ الإنسانية جمعاء؛ ولا سيّما فيما يتعلّق بقصص الأمم السابقة التي سردتْها ضربًا للأمثال ليتّعظَ النّاس من مصير مَن سبقهم،؛ ليكون هذا البحث إجراءًا تنفيذيًّا، ومِصداقًا لِمَا قدّمنا.

توطئة:

تحصيل المعنى من المعجم والسّياق:

يتحصّل (المعنى) من طريقين عند المتلقّي؛ الأوّل حين يتصوّر المتلقّي أنّ للمعنى وجودًا خارجيًّا مستقلًّا عنِ الْعقل البشريّ، وهذا الوجود الخارجيّ عبارة عن وجود عيانيّ و حالة شعوريّة مُحسَّة؛ فكأنّهما أصلان عامّانِ في مسألة(المعنى) وصناعته؛ والأخرى: حين يتمازج الفهم والإدراك بعمليّة يؤدّيها كلٌّ من العقل والنّفس البشريّة؛ فهو عبارة عن شيء مصنوع قدِ اتَّخذ اللّغة إهابًا له، وهو كالفرع الخاصّ والذّاتي في مسألة(المعنى) وصناعته؛ فالمتلقي "لحظة إقباله على النّص لا يأتي من فراغ، بل يأتي محملاً بروافد ثقافية، وأعراف أدبية ووعي بالتاريخ الأدبي، وبمخزون من النّصوص السابقة والمعاصرة، فيتم التأويل في إطار يضعه القارئ بما لديه من فهمٍ مبقٍ [١].

قال حازم القرطاجنّيّ: " كلّ شيء له وجود خارج الذّهن فإنّه إذا أدرك حصلت له صورة في الذّهن تطابق لما أدرك منه ..."[٢]؛ ويُردِف قوله: " ... فإذا عُبّر عن تلك الصّورة الذهنيّة في أفهام السامعين وأذهانهم فصار للمعنى وجود آخر من جهة دلالة الألفاظ"[٣].

المعنى_ إذًا_ كائن له وجود مستقلّ حادث يعادل الوجود الأصليّ للأشياء خارج الذّهن؛ فكأنّه انعكاس صورة الأشياء على المرآة تتصوّر في هيأة الألفاظ؛ فليس له من وسيلة إلّا اللّفظ الّذي هو أداة أو آلة يُتوصّل بها إلى نقل المعنى من حاله المتحرّكة في

الذّهن إلى حال الوجود الشّكليّ المشعور به بشرط أنْ تتوافر تلك الألفاظ؛ إذ إنّ الألفاظ وهي مفردة لا تفيد إلّا المعنى المعجميّ، لذا لا يُنقَل المعنى من وعاء الألفاظ المعجميّة المجرّدة المحدّدة إلى فضاء التّأويل الواسع إلّا حين يتعلّق اللّفظ بنمط تركيبيّ معيّن(جملة)؛ لأنّ الدّلالة المعجميّة هي: " تلك العلاقات البنيويّة الأفقيّة الّتي تقوم في العبارة بين المفردات بوصف هذه الأخيرة وحداتٍ معجميّةً دلاليّةً، لا بوصفها وحداتٍ نحويّةً أو أقسامًا كلاميّة عامّة"(٤).

ثمّ يكون لها معنًى آخرُ حين ينضمّ بعضها إلى بعض في جمل مركّبة تركيبًا صحيحًا. وعندئذٍ تسمَّى أسلوبًا؛ والأسلوب عند النّحاة؛ كجملة الاستفهام، أو جملة الشّرط، أو جملة النّداء ... إلى غير ذلك؛ وهذه كلُّها أساليبُ لغويّةٌ؛ لها عُلقة بدلالة خاصّة تنصبّ في قالب تركيبيّ معيّن؛ وكلّ أسلوب يتكوّن من عناصرَ مخصوصةٍ به؛ ولكلِّ عنصرٍ فيه أثرٌ في توضيح معنى الكلام؛ ودلالة الأسلوب على التّعيين يتحدّد ويتوضّح بسياق الحال والمقام؛ فهذه الجمل تتحصّل منها فائدة حين يأتلف الكلام، ويُضَمُّ بعضُه إلى بعض على وجه من الوجوه النّحويّة الصّائبة؛ فحين يعبّر منشئ النّصّ عن مقصد معيّن من مقاصده؛ فإنّه يوجِد علاقاتٍ متساويةً بين الكلمات؛ لكي يحقّق غايته في إيصال رسالته وإبلاغها للمتلقّي بالشّكل الّذي يراه صائبًا وموصلًا لأفكاره؛ فإذا ما انحرف عنِ القوالب التركيبيّة الصّحيحة في لغته فإنّ إفهاميّة النّصّ تنحرف أيضًا.

وهذه (الألفاظ) لا بدّ من أنْ يعرفَها معرفةً قَبْليّة كلٌّ من المنشئ والمتلقّي؛ لأنّ كلًّا منهما: " بما لهما من خبرة لغويّة ناتجة عن معرفة كلّ منهما المسبّقة باللّغة تتيح لكلٍّ منهما تشكيل الأداء اعتمادًا على التوقّعات الّتي يكون للمستمع أو القارئ دور إيجابيّ لخبرته بالنّظام النّحويّ بالإضافة إلى نسق المعاني المستخلصة في إطار اللّغة"(٥).

فلهذه اللّغة نظام يجمع كلماتها المتناثرة؛ ليرصفها فتخرج متآلفة في قوالبَ تركيبيّةٍ يحكمها مسلك خاصّ بها، وتضبطها قواعدُ خاصّةٌ، ثمّ يتآلف هذا التّركيب مع غيره في سياق، والسّياق مع سياقات أخرى؛ لتُسهِمَ جميعًا في إحداث تحوّل خطر في شكل النّصّ، وطاقته الإيحائيّة؛ وهذه هي حقيقة النّحو؛ قال السّكّاكيّ(ت٦٢٦هـ) : "اعلم أنّ علم النّحو هو أنْ تنحوَ معرفة كيفيّة التّركيب فيما بين الكَلِم لتأدية أصل المعنى مطلقًا بمقاييسَ مستنبطةٍ مِنِ اسْتقراء كلام العرب، وقوانينَ مبنيّةٍ عليها؛ ليُحتَرزَ بها عنِ الْخطأ في التّركيب من حيثُ تلك الكيفيّةُ، وأعني بكيفيّة التّركيب تقديم بعض الكَلِم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات"[٦]. وصولًا إلى التّعبير عنِ المخبوءات الكامنة للدّلالات.

إنّ الباحثة بعدما بيّنت في هذه التّوطئة شيئًا عن تحصيل المعنى؛ ترى أنّ معالجة بيان معاني النّصّ لا يكفيها معاني الألفاظ بسياقاتها التّركيبيّة فحسب؛ بل يتطلّب منها نظرة شموليّة في العناصر غير اللّغويّة؛ أيْ: المفردات الأخرى من عناصر عمليّة التّوصيل:" فهناك عناصر غير لغويّة ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام كشخصيّة المتكلّم وشخصيّة المخاطب وما بينهما من علاقات وما يحيط بالكلام من ملابسات وظروف ذات صلة به"[٧]؛ لأنّ النّصّ أيّ نصّ هو ليس المتكلّم والمتلقّي وطبيعة الأفكار الّتي يراد التّعبير عنها، والجنس الكلاميّ، ولا سيّما وهي تتعامل مع النّصّ المعجز (القرآن الكريم)؛ وهو قطعيّ الصّدور من الله سبحانه وتعالى.

الإجراء :

لقدِ افْتتح الله تعالى كلامَهُ في هذه السّورة بالفجر؛ وهو أوّل وقت ظهور ضوء النّهار إذا انشقّ عمود الصّبح وظهر في أُفق المشرق؛ فتظهر حُمْرة الشّمس في سواد اللّيل؛ وهو الفجر الصّادق؛ وهو مأخوذ من الانفجار، يقال: انفجر النّهر ينفجر انفجارًا:

إذا انشقّ فيه موضعٌ لخروج الماء، ومن هذا سُمِّيَ الفاجر فاجرًا؛ لأنّه خرج عن طاعة الله، والفَجْر: تَفْجيرُكَ الماءَ. وانْفَجَر الماءُ والدّمُ ونحوهما من السّيّال، وتَفَجَّرَ: انبعث سائلًا(٨).

وقد وردَ في مطلع هذه السّورة القسم بالفجر، وباللّيالي العشر؛ إذِ افْتتح النّصّ القرآنيّ بواو القسم؛ وهي الأكثر استعمالًا في القسَم(٩).

ويُعَدّ القسَم في اللّغة واحدًا من طرائق توكيد الكلام نفيًا أو إثباتًا؛ وهذا التّأكيد يأتي لإزالة الشّكّ في الخبر وتفنيده، وإبراز معانيه ومقاصده على النّحو الّذي يريده المتكلّم؛ ممّا يعني القوّة المستفادة من التّوكيد؛ فالغرض منه توكيد الكلام وتقويته(١٠)؛ ومن عادة العرب إذا أرادت أنْ تؤكّد أمرًا لجأت إلى القسم(١١)؛ فقد كان القسم عندهم من الجوانب المهمّة في حياتهم؛ فهو يكشف لنا المضمون الفكريّ الّذي يتمسّكون به.

وأسلوب القسم من الأساليب الّتي ترتبط كينونتها بالسّياق؛ والقسم بالشّيء دلالة على تعظيمه؛ والتّعظيم يرتبط بمواقفَ سياقيّةٍ معيّنةٍ، ومخصوصةٍ؛ فالقسم يقتضي وجود سياق تعظيميّ معيّن، على أنّها صفة من الصّفات الّتي يتعارف النّاس في ما بينهم على التّعظيم بها، وأنْ يُعرَفَ صاحبُها، وأن تكون هذه الصّفة متأصّلة فيه، ويعُرَفَ أنّها خاصّة بالبشر، أو خاصّة بالذّات الإلهيّة.

واللهُ تعالى يُقسِمُ بالنّجوم، واللّيل، والشّمس وغيرها من المخلوقات؛ نحو قوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ الليل/١وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ الليل/٢وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ الليل/٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ لليل/٤﴾؛ ونحو قوله تعالى: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا الشّمس/١؛ أيْ: يقسم بهذا المخلوقات الّتي خلقها؛ وهي عظيمة أمام ناظر الإنسان؛ وقد أقسم الله عزّ وجلّ بالفجر لتعظيمه؛ إذ

يتّضح من سياق هذه الآية والآيات الأخرى الّتي ورد القسم فيها أنّ هناك مناسبةً بين القسم وبين المقسَم به؛ إذ لا يكون القسم إلّا باسم معظَّم[١٢]؛ فإنْ قِيلَ: كَيف أَقْسَمَ بِالْخَلْق وقد وَرَدَ النّهْيُ عَنِ الْقَسَم بِغَيْرِ اللَّهِ؟! فنقول: إنّ الله سبحانه وتعالى يُقسِم بأشياءَ معيّنةٍ من مخلوقاته؛ من أجل لفت نظر النّاس إلى أهمّيّتها؛ كذلك أَنَّ العرب كانت تُعظِّم هذه الأشياءَ، وتُقسِم بها فنزل القرآن عَلَى ما يعرفون؛ وقد يُقسِم اللهُ تعالى بأسمائه، وصفاته لعلمه، ويُقسِم بمفعولاته لعجائب صنعه. ومن سياق الآية الكريمة_ مجال البحث_ نجد أنّ القسم فيها قسمٌ مؤكّدٌ بالفجر ، والتّأكيد يدلّ على حقيقة قرآنيّة مهمّة؛ أنّ صيغة القسم هذه ومثيلاتها تأتي من قبيل تنبيهنا على عظمة الأمر المقسَم به، وعلى أهمّيّته في انتظام حركة الكون، أو في استقامة حركة الحياة، أو فيهما معًا؛ مثلما أقسم بالصّبح لما يحصل به من انقضاء اللّيل بظهور الضّوء، وانتشار النّاس وسائر الحيوانات من الطّيور والوحوش في طلب الأرزاق؛ وذلك مشابه لنشور الموتى؛ وفيه عبرة عظيمة؛ لذلك أقسم الله بهذا الوقت؛ وهو وقت الفجر للدّلالة على أهمّيّته. مع أنّ الله تعالى غنيّ عنِ الْقسم لعباده؛ فمن سياق الآية، والاستعمال القرآنيّ لأسلوب القسم يتّضح لنا أنّ هذا القسم هو قسم خاصّ لحدث معيّن أراد الله سبحانه وتعالى إثبات حقيقة حدوثه؛ فأتى بالقسم به؛ لأنّه لا يعقل أنْ يكونَ المعنى المقصود في الآية الكريمة لِلَفظةِ(الفجر) هذا الفجر المعهود؛ إذ إنّ أَخْذَ اللّفظةِ بمدلولها المعجميّ لا يستقيم وهذا الحدثَ الخاصَّ؛ مع علْمِنا أنّ لفظة (الفجر) من المفردات الّتي كانت من صميم ما كان يُتداول في استعمالات أهل الجاهليّة كلّ يوم، ويستيقظون به كلّ يوم. فمنذ الوهلة الأولى جاء القسم محدِّدًا مسارَه في تأثيره النّفسيّ في المتلقّي الأوّل؛ وهو رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم)، ومنه إلى(النّاس)؛ لذا كانت أوّل كلمة صادمة في هذه السّورة هي(والفجر) لِمَا لها من وقع نفسيّ، وتأثير قويّ في نفوسهم؛ عندئذٍ تؤدَّى عمليّة التّفاعل في نفوسهم؛

لتتّضحَ عند هؤلاء طبيعةُ الشّعور النّفسيّ الحقيقيّة، أو الإحساس العاطفيّ إزاء الأشياء المختلفة؛ وهو الشّعور بالتّضادّ النّفسيّ بين عظمة الشّمس وسطوعها أوّل النّهار، وبين ضآلة الفرد قبالها؛ فإنَّ هذا الفجر هو فجر كلّ يوم، فحين ينفجر الضَّوء ويقبل النّهار مع انقضاء اللّيل، تخرج الكائنات الحيَّة لأعمالها كأنَّهم أموات قد بُعِثُوا من جديد؛ وهذا الشّعور النّفسيّ يستبطن مكبوت ذات النّفس في تخيّل ضمنيّ لها؛ تعبّر في مضمرها عن عجزها وضعفها، وحقارتها؛ وعندئذٍ يحاول هذا المتلقّي أنْ يغيّر ما في نفسه ليخرج من حقارة النّفس إلى تنقيتها؛ لأنّ:" النّفس تقبل اللّطيف وتنبو عن الغليظ وتقلق من الجاسي البشع وجميع جوارح البدن وحواسّه تسكن إلى ما يوافقه وتنفر عمّا يضادّه ويخالفه..."(١٣).

فقد نبّههم على أمر عظيم؛ لأنّه(المُرسِل) العظيم الخالق، وهم (المُرسَل إليهم)؛ ليؤكّد هذا الأمرَ العظيمَ في نفوسهم ويقوّيه ويحقّقه؛ إذ إنّ التّعظيم يحتاج إلى مقام له خصوصيّة سياقيّة معيّنة؛ وهي في الغالب مقامات المدح والثّناء؛ لأنّ هذا الأسلوب يستند إلى ما يتعارفه النّاس من صفات التّعظيم؛ ليتدخّل هذا التّعارف في تحديد الصّفة الّتي يعظّم بها، والصّفات الّتي يُعظَّم بها تختلف من جماعة إلى أخرى، ومن وقتٍ إلى آخرَ، والشّخص المعظَّم يجب أنْ يكون معروفًا بين جماعته اللّغويّة بهذه الصّفات؛ لهذا قال السّيرافيّ: "يحتاج التّعظيم إلى اجتماع معنيين في المعظَّم: أحدهما أن يكون الّذي عظّم به فيه مدح وثناء ورفعة. والآخر: أن يكون المعظّم قد عرفه المخاطَب، وشُهِر عنده بما عُظِّم به، أو يتقدّم من كلام المتكلّم ما يتقرّر به عند المخاطَب حال مدح، وثناء، وتشريف في المذكور يصحّ أن يورد بعدها التّعظيم"(١٤)؛ وما يصحّ لتعظيم ذات الله ـ عزّ وجلّ ـ قد لا يصحّ للبشر، والعكس بالعكس؛ فـ "ليس كلّ شيء من الكلام يكون تعظيمًا لله عزّ وجلّ يكون تعظيمًا لغيره من المخلوقين"(١٥).

القسم هنا_ إذًا_ قسم مؤكِّد؛ فالأمر المقسَم به في قوله تعالى ﴿والفجر﴾ لا بدّ من أنْ يكونَ قضيّةً واضحةً كلَّ الوضوح لأهل مكّةَ، وغيرهم؛ على أنّها قضيّة كاشفة عن أمر إلهيّ يرتبط بالهداية لا ينكره أحد؛ إذ إنّ إطلاق لفظ القسم دليل على عظمة الخبر؛ والواضح من السّياق كذلك أنّ التّعريف بـ(أل) في(الفجر) هو تعريف للعهد الذّهنيّ؛ فهو لفظ معهود عند العرب؛ فابتداء الكلام بالقسم المؤكِّد يُؤذِن بأهمّيّة الغرض المسوق له الكلام، وإطالة القسم تشويق إلى المقسم عليه(١٦)؛ فدلّ السّياق على أنّ هذا القسم ليس قسمًا بالفجر؛ وإنّما جاء كنايةً عن أمر عظيم؛ إذ يراد به الإمام القائم (عجّل الله فرجه) سُمِّيَ مجازًا بالفجر؛ لأنّ الفجر انفجار الصّبح عن اللّيل؛ واللّيلُ كنايةٌ عن اختفائه(عليه السّلام)؛ فإذا ظهر أزال ظلام اللّيل، وطلع فجر العدل، وبزغت شمس الدّين؛ وهذا الاستدلال اللّغويّ يوافق بعض الرّوايات المؤكّدة عن عِدْل القرآن؛ وهم أهل البيت(عليهم السّلام)(١٧).

فالتّركيب النّحويّ في الكناية لا يراد منه المعنى الأوّل؛ لـ " أنّ التّعبير اللّغويّ فيها لم يقصد منه ما يعطيه من دلالات ظاهريّة وإنّما الغرض من وراء ذلك المعنى الظّاهريّ ما يتبع هذا التّركيب اللّغويّ من معانٍ ثانية لطيفة ومقصودة"(١٨)؛ لأنّ المهمّ معرفة مدلول التّراكيب لا معرفة التّراكيب فلا يكون لأحد التّركيبين مَزِيّة على الآخر حتّى يكون له في المعنى تأثير لا يكون للآخر، وتعبير الكناية يكشف عن المعاني ويوضّحها، ويؤثّر في النّفس تأثيرًا تعجز اللّغة العاديّة عن تصويره؛ لأنّها وُضِعت بأزاء الأفكار لتعبِّر عنها(١٩).

فيكون هذا القسم بشيء مضى، وبشيء سوف يقع؛ وهو أسلوب لا يقوله إلّا الخالق القدير على كلّ شيء؛ الّذي يستوي عنده الماضي والمستقبل؛ وإذا أقسم الله

سبحانه بأمر – ولا يقسم إلّا بما له شرف ومنزلة – كان من القول الحقّ المؤكَّد الّذي لا ريب في صدقه.

ثمّ ينقلهم بقوله تعالى: **وَلَيَالٍ عَشْرٍ [الفجر:٢]** ؛ اذِ أُفتُتِحتِ الْآيةُ الكريمة بواو العطف لاشتراكها في حكم القسم للكلام الّذي سبقها في قوله تعالى(الْفَجْر)؛ وكأنَّ كلَّ الّذي جاء بعدها هو مشترك معها في القسم؛ وقد جاءت منكَّرة من بين ما أقسم الله به؛ لأنّها ليالٍ مخصوصة بفضائلَ لا تحصُل في غيرها، والتّنكير دالٌّ على الفضيلة العظيمة[٢٠]؛ ولكنّ المركّب العدديّ دلَّ على تعريف تلك اللّيالي الّتي أقسم بها القرآن؛ إذ إنّ العدد وسيلة يتعيّن المقصود به، ويشار إليه بالتّحديد دون تقييده بدخول الألف واللّام أو إضافته إلى ما فيه ألف ولام؛ وكذلك دلّ أثر السّياق في وضوح الدّلالة من العدد؛ إذ إنّ نظْمَ النّصّ وتفاعلَه مع المقام؛ فضلًا عن الرّجوع إلى أسباب النّزول والرّوايات عنِ الْأئمّة الأطهار (عليهم السلام)؛ كلّها عوامل تساعد في تعريف المقصود وتعيينه؛ واختلف أهل التّأويل في هذه اللّيالي العشر؛ أيُّ ليالٍ هي؟ فقيل هي عشر الأضحى وقال بعضهم: هي عشر الأضحى[٢١] وقيل هي ليالي عشر ذي الحجة[٢٢]، وقيل ، وقيل: هو أوّلَ السّنة من المحرّم، وقيل: إنّها العشر الأواخر من شهر رمضان، أقسم الله تعالى بها لشرفها وفيها ليلة القدر[٢٣]؛ وأقول: لمّا كان الكلام جاء على وَفق السّياق، وبحسب المقام الّذي ذُكِرت به هذه اللّيالي العشر، وعلى فرض التّسليم بتفسير (وليالٍ عشر) بالعشر الأوائل من ذي الحجّة باعتبارها أيّام حجّ؛ فإنّ الحجَّ شُرِّع متأخّرًا في المدينة بعد الهجرة النّبويّة الشّريفة؛ وأنّ المفسّرين اختلفوا في ماهيّة هذه اللّيالي العشر؛ أهي من ذي الحجّة أم من المحرّم، أمن رمضان؟ فضلًا عنِ اختلافهم في مكّيّة نزول السّورة أو مدنيّتها وعدد آياتها؛ لذا لا يمكن قَبولُ أنّ اللّياليَ العشرَ هي ليالٍ

عشرٌ من ذي الحجّة؛ وهو شهر حجّ، وفي الوقت نفسه يقولون بنزولها في مكّة. وهذا تخبّط وتناقض_ بحسب رأيي المتواضع_ لا يمكن قبوله بأيّ حال.

ثمّ يأتي قوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾؛ أمّا (الشّفع) في اللّغة؛ فهو: الاثنانِ؛ وهو ضمّ الشّيء إلى مثله؛ ويقال للمشفوع شفع؛ وأمّا (الوتر): فهو الفرد، وهو الظُّلامة في دم، ثمّ ينقلهم إلى قوله(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)؛ فـ (يسر)(من سار: إذا مضى وذهب). أمّا (اللّيل) إذا يسرِ فهو كناية عن أخذ الثّأر، وزوال الهمّ الذي أنتجتْه الظُّلامة.

وقدِ اِخْتلف فيها المفسّرون على آراء شتّى في الأمر المقسَم به في هذه الآيات؛ إذ لم تثبت بدليل وغاب عنهم الرّأيُ البادهُ الّذي تفرضه اللّغة والسّياق؛ فقد كانت هذه الآراء في عشرين قولًا[٢٤].

وبنظرةٍ فاحصة بحسب توافق السّياق؛ أرى أنّ هذه الآيات الّتي ذُكِرت آنفًا تدلّ على أمر عظيم، وأنّ هذه الآراء العشرين هي آراء متناقضة في ما بينها؛ لذا يمكننا أنْ نرجّحَ أنّ اللّياليَ العشرَ هي العشر الأُوَل من شهر المحرّم سنة إحدى وستّين للهجرة المباركة؛ وفجرُها هو يوم العاشر الّذي قُتِلَ فيه الحسين(علَيه السّلام) وأهل بيته وأصحابه ، والوتر هي ظُلامة الحسين(عليه السّلام)، واللّيل إذا يسرِ هو ظهور المهديّ وأخذه بثأره؛ لأنّنا مأمورون بالأخذ بأقوال العترة الطّاهرة؛ فهم عِدل القرآن وترجمانه.

ويتّضح من ذلك أيضًا أنّ الله تعالى أقسم بقضيّة واضحة في الموروث العربيّ الجاهليّ؛ ولا سيّما القَرشيّ، وأهل الكتاب من اليهود والنّصارى الّذين عاصروهم؛ إذ ترتبط باللّيالي العشر، وفجر عاشورائها من ذي الحجّة؛ وهي قصّة إبراهيم وإسماعيل(عليهما السّلام)، وبناء البيت، ورؤيا إبراهيم في ذبح ولده، وتصديق إبراهيم، واستجابة إسماعيل لطلب أبيه يوم العاشر يوم النّحر، وفداء الله تعالى له بذبح عظيم، وما رتّب الله تعالى على ذلك من الإمامة الإلهيّة لإبراهيم وإسماعيل والطّاهرين من

ذرّيّته؛ فحين انطلق منها للإخبار عن قضيّة مشابهة (والشّفع والوتر واللّيل إذا يسر) تبرز فيها العناصر السّياقيّة نفسها المتواشجة بينها وبين أسباب النّزول مع الموروث الثّقافيّ الدّينيّ عند المجتمع الجاهليّ، وعندنا اليوم في اللّيالي العشر، وفجر عاشرها، ورؤيا للرّسول بذبح ولده على يد شرّ خلقه من دون أنْ يفديَ الله تعالى هذا الولد البارّ بأبيه؛ ليكون دمُه وترًا (ظُلامة) إلهيًّا يأخذ الله تعالى بثأره باستئصال كلّ قُوَى الظّلم والفساد من على الأرض فيتحوّل الهمّ والغمّ إلى سرور.

فالأقرب والأرجح دلالةً في تعريف اللّيالي العشر هو العشر الأُوَل من شهر محرّم الحرام الّتي عاشرها يوم عاشوراء[٢٥]؛ لأنّها سيظهر بها الإمام الحجّة محمّد المهديّ (عجّل الله فرجه الشّريف)؛ إذ إنّه سيظهر يوم السّبت من عشرة محرّم الحرام؛ فالعرب تقصد باللّيالي الأيّام؛ ومعنى ذلك أنّ الله عزّ وجلّ يقسم بفجر وليالٍ عشرٍ من شهرٍ آخرَ تُشابِهُ تلك الّتي من شهر ذي الحجّة من أنّها تكشف عن أمر إلهي يرتبط بالهداية. ليكون ظهور الإمام القائم (عجّل الله فرجه الشّريف) بمنزلة الإنذار بمجيء يوم القيامة؛ فهو رسول الله إلى أهل الأرض جميعًا؛ وهذا الإخبار المستقبليّ عند تحقّقه سيكون من أهمّ الأدلّة على أحقّيّة القرآن الكريم من أنّه وحي إلهيّ؛ والله أعلم .

وحين ننظر نظرة فاحصة أخرى في هذه الآية:(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) من حيث ربطُها بما سبقها بعد انتهاء الأقسام نجدها انتقلت إلى أسلوب الاستفهام وهو أسلوب لغويّ كسائر الأساليب في اللّغة؛ له دلالة معيّنة؛ فهو طلب الإفهام؛ أيْ: يدلّ على طلب فهم ما اتّصلت به أداة الطّلب؛ والإفهام معناه: تحصيل الفهم[٢٦]؛ وهو عند أهل العربيَّة نمط تركيبيّ من الجمل الإنشائيّة الطّلبيّة؛ ثمّ إنّ الاستفهام في هذا السّياق قد خرج لغرض التّوكيد والتّقرير؛ والمقام هنا مقام التّعظيم عند الله عزّ وجلّ؛ ويجمع كلَّ هذه الأركان قرينةُ السّياق؛ إذ يسهم في بيان دلالة الأداة، وتعيين المستفهم عنه، وتعريفه

بتعيين إجابة السّؤال؛ ولهذا يُسمَّى أسلوبًا؛ إذ لا دلالة لِلَّفظة بمفردها دون الأخرى؛ وهذا الأسلوب له دلالتان؛ الأولى: وضعيّة؛ وهي طلب الفهم؛ أيْ: إنّ المستفهم يطلب من المخاطب فهم شيء يجهله، والثّانية: دلالة مجازيّة؛ ضابطها: أنْ يكون المستفهم ليس به حاجة إلى فهم شيء؛ بل هو يُنشِئ معانيَ يقتضيها المقام؛ قاصدًا إعلام المخاطب بها، لا أنْ يستعلمَ هو من المخاطب عن شيء، ولكثرة ما في هذه الدّلالة من أغراض؛ فكثيرًا ما يخرج الاستفهام عن معانيه الوضعيّة إلى معانٍ أخرى تفهم من السّياق، ومقامات الكلام[٢٧]؛ وأسلوب الاستفهام في صميمه يعتمد على سياق الحال؛ اذ هو" استعلام ما في ضمير المخاطب"[٢٨]. فقد أُفتُتِحتِ الْآية الكريمة بأداة الاستفهام (هل)؛ و(**هل**): هي حرف استفهام بمنزلة (قد) في الخبر؛ أيْ: مفيدة لمعناها؛ إلّا أنّهم تركوا الألف قبلها؛ لأنّها لا تقع إلّا في الاستفهام[٢٩]؛ والبرهان على أنّها للاستفهام عن أصالتها؛ فلا يجوز أنْ تدخلَ عليها همزة الاستفهام؛ إذ من المَحال اجتماع حرفين بمعنًى واحد[٣٠]، وتدخل(هل) على جملة قد عمل بعضها في بعض، لا لمعنًى في اسم مفرد؛ فإنّ الحرف دخل لمعنًى في الجملة؛ وهذا الاستفهام تصوريّ يُكنّى به عن أهمّيّة الخبر، والحديث هو كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع، أو الوحي في يقظته أو منامه[٣١]؛ وقدِ اُسْتعمِل لمزيد من التّشويق إلى معرفة الخبر، وليس للفجر المعروف لِمَا يترتّب عليه من التّعظيم؛ ومعنى(لذي حجر): لذي عقلٍ؛ والعرب تَقُولُ: إنّه لذو حِجْر إِذَا كَانَ قاهرًا لنفسه ضابطًا لها[٣٢]؛ وتعريف ما أُضِيف إليه(حِجْر)؛ يقتضي موصوفًا؛ ولكنّه لم يُذْكَر إبهامًا؛ من أجل زيادة التّشويق إلى بيانه؛ ليتمكّن الخبر في الذّهن كلَّ التّمكّن[٣٣]؛ والخطاب هنا للعرب وقريش خِصِّيصَى؛ ومن الواضح من الاستعمال القرآنيّ لأسلوب الاستفهام هو تبليغ خبر أحوال ناس مخصوصين؛ فدلّ تعريف الإضافة بأنّه

خبر خاصّ يفسّره الكلام الّذي بعده. والمعنى الإجماليّ لهذه الآية أنّ في ذلك الّذي قدّمناه قسمًا كافيًا لِمَن له عقل يفقهُ به القولَ، ويُميّز الحقَّ من الباطل.

ثم اعترض بين القسم في بَدء السورة القسم(هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ)؛ وهذا الاعتراض؛ أيْ: وقوع جوابه المحذوف؛ وهو قوله تعالى(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ)؛ جعلَه يبدأ بالهمزة: وهي حرف استفهام تدخل في الكلام لمعانٍ[٣٤] يحدّدها السّياق، والمقام، والسّؤال بها استفهام بسيط مطلق غير مقيّد بوقت ولا حال[٣٥]؛ وهي حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب تصديق، أو تصوّر؛ وهذا أصل أدوات الاستفهام[٣٦]؛ وهي تفيد التّعيين عندما تلحق (أم) بها، ونقلًا عن بعض النّحاة أنّ أصلها (أو) أبدلت واوها ميمًا؛ فتحوّلت إلى معنًى يزيد على معنى (أو)[٣٧]؛ فإذا قلت: أعندك زيد أم عمرو؟؛ فأنت مُقِرّ بأنّ أحدهما عنده، ومثبت لذلك وتطالب بتعيينه؛ وذلك لأنّ(أم) هذه مُشْرَبَةٌ معنى(أيّ)؛ فإذا قلت: أزيد عندك أم عمرو؟ كأنّك قلت: أيّ هذين عندك؟؛ ولذلك تعيّن الجواب بأحدهما[٣٨]؛ وسُمِّيت (أم) متّصلة؛ لأنّ ما قبلها وما بعدها لا يُستغنَى بأحدهما عن الآخر، وتسمّى كذلك معادلة لمعادلتها للهمزة في إفادة الاستفهام[٣٩]؛ إذ إنّ السّؤال يكون على أربعِ مراتبَ في هذا الباب؛ الأوّل: السّؤال بالهمزة منفردة؛ نحو: أعندك شيء ممّا يحتاج إليه؛ فتقول: نعم؛ فينتقل إلى المرتبة الثّانية: فتقول ما هو فتقول: متاعٌ؛ فينتقل إلى المرتبة الثّالثة: بأيّ؛ فتقول: أيُّ متاعٍ؟؛ فتقول: ثيابٌ؛ فتنتقل إلى المرتبة الرّابعة؛ فتقول: أكتّان هي، أم قطن، أم صوف؟ وهذه أخصّ المراتب وأشدّها طلبًا للتّعيين؛ فلا يحسُن الجواب إلّا بالتّعيين[٤٠]؛ وتأتي الهمزة كذلك لتدلّ على التّعيين من دون وجود (أم)؛ وذلك بتأثير السّياق؛ فإنّ مدلولها على التّعيين يتّضح بمعيّة السّياق، وتأثير المقام؛ فللسّياق بُعدٌ أوسعُ في الفهم؛ ومن هذا الفهم النّحويّ لهذه الأداة ننطلق لنقول إنّنا تلمّسنا في هذه الآية حين افتُتحتِ الْآية بهمزة الاستفهام

والتّساؤل؛ الكشفَ الدّلاليَّ لمعنى الاستفهام وغرضه؛ فهو لتعجيب المخاطب، وأنّ استعمال حرف الاستفهام (الهمزة) هو لطمأنة النّبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) بيقين زوال الظّالمين والمفسدين وهلاكهم؛ كما هلكوا من قبْلِ زمن رسول الله، وزالوا في وقته(صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ إذ زال الكفّار والمشركون، وفُتِحت مكّة، و نُشِر التّوحيد[٤١]؛ فقد أوضح السّياق أنّها تخصّ مخاطَبًا معيّنًا؛ وهو النّبيّ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)[٤٢].

وكذلك جاء الخطاب تقريرًا وتنبيهًا للكفّار على ما فعله سبحانه بالأمم السّالفة، لمّا كفرت بالله وبأنبيائه، وكانت أطول أعمارًا، وأشدّ قوّةً؛ وهذه هي الحقيقة المُبلَّغة؛ فسياق الآية يدلّ على أنّه خطاب مخصوص لقريش؛ فيكون الاستفهام التّقريريّ مبنيًّا على ما هو مشتهر بين النّاس من عظمة (الفجر) تنزيلًا للمعقول منزّل المحسوس.

وباقي آيات السّورة ﴿أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ (٦) إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ(٨) وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ(٩) وَ فِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ(١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ(١٣) ﴾ هي جمل اعتراضية بين القسم وجوابه ، تتحدّث عن نماذج من الأقوام السابقة الّذين طغوا في الأرض، وظَلَموا وأسفَوا في ظلمهم؛ إذ اتّضح هلاكهم بإذن الله تعالى وانتقامه منهم؛ كما تُشير إلى امتحان الإنسان وحثّه على عدم التقصير في فعل الخير، ثمّ تتحدّث السورة بعد ذلك عن الإنسان وحبّه للمال والحياة الدنيا وإيثارهم الدنيا على الآخرة.

وتُبشّر المؤمنين ذوي النّفوس المطمئنة بدخول الجنّة هذه ثلاثة أمثلة ضربها الله تعالى لمن سوف يتصدّى لتجهيز الجيوش لقتل الحسين(عليه السّلام)؛ أنّه مهما كانت قوّتهم سوف يكون مصيرهم مصير قوم عاد، وثمود، وفرعون؛ الّذين طغَوا في البلاد كما طغى

المشركون في البلاد ؛ فإنّهم مهدّدون بالعذاب الأخرويّ، ثمّ أُختُتِمتِ السّورة بتوجيه الخطاب إلى الحسين(عليه السّلام)، ووصفه بأنّه صاحب النفس المطمئنّة المُسَلِّمة لأمر الله ، مهما كان الابتلاء عظيمًا، ولم ترَ عين مثل ما جرى و هو عاشر ذي الحجة[٤٣] .

وكأنَّ السّورة تشي بالقول من أنّ الّذين يظلمون الحسين(عليه السّلام)، وصحبه سيلقون مصير قوم عاد، وثمود، وفرعون من مهانة وذلّ وإبادة؛ وغدَوا عبرة لمن يعتبر.

نتائج البحث:

١. كشف البحث أنّ السّياق اللّغويّ للآيات القرآنيّة كاشف عن معانيها على نحو العموم.
٢. كشف البحث أنّ السّياق اللّغويّ، وأسباب النّزول، وتفسير أهل البيت(عليهم السلام) تتعاضد من أجل توضيح مراد الله سبحانه وتعالى.
٣. كشف البحث أنّ دلالة القسم في القرآن الكريم؛ ولا سيّما في مفتتحات السّور؛ لا تنصرف إلى المعنى المعجميّ؛ بل لا بدّ من التّفسير اللّغويّ ثم الانتقال إلى عمق النّصّ ليتجلّى الفهم بأقرب صورة.
٤. كشف البحث أنّ السورة بافتتاحها بلفظة(والفجر) تبيّن إطلالة الإمام المهديّ(عجّل الله فرجه)؛ وهي الّتي يتحدّد بها بَدء تطبيق العدل الإلهيّ الموعود بظهوره قرآنيًّا.
٥. استنطق البحثُ النّصَّ القرآنيَّ الشّريف على وفق مسوّغات عقلانيّة وموضوعية بمعزل عن الجانب العقديّ في المعرفة .

٦. كشف البحثُ أنّ المعنى منوط بالظّرف السّياقيّ للجملة؛ استنادًا إلى الاستعمال القرآنيّ الّذي ورد فيه القسم والاستفهام؛ فهو الحدّ الفاصل الّذي يدفع توهّمًا ولبسًا على المخاطب، وأنّه يشعرك بأنّ الكلام مرتبط بعضه ببعض؛ بحيث لا ترى استقلال الكلام بعض عن بعض.

٧. كشف البحث أنّ القسم الوارد في السورة يتضمّن تهديد للمشركين المكذّبين برسالته(صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ فإنّ ما حل بعاد ومن قبله ليس ببعيد عنهم، فقوم صالح قد كذبوا نبيهم، وأعرضوا عن الآيات، وأخذتهم العزة بقوتهم؛ فما كان جزاؤهم إلا العذاب الذي هو حق لمكذبي الرسل.

٨. كشف البحث أنّ للاستفهام الوارد في هذه السورة ربطًا وثيقًا بالأقسام الّتي قبله؛ وذلك لما فيه من تسلية عظيمة للنّبي(صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ فإنّ الأقوام الّذين كذّبوا المرسلين؛ وهم قبل أمّة محمّد(صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان تكذيب كفار قريش أعظم جنايةً؛ لأنّ تكذيب رسول الله تكذيب لجميع الرسل .

هوامش البحث:

---

(١) نظريات قراءة النّص، مجلة علامات في النّقد، ج٣٩، مج١٠، ١١٩.

(٢) منهاج البلغاء ، ابن حازم القرطاجي ١٨.

(٣) المصدر نفسه ١٨.

(٤) التطور الدلاليّ بين لغة الشّعر الجاهليّ والقرآن الكريم ، عودة خليل أبو عودة ٧٦.

(٥) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، رجاء عيد ٩٧.

(٦) مفتاح العلوم للسكاكي ٧٥.

(٧) علم اللغة ، محمود السعران ٢٢٨.

(٨) ينظر : لسان العرب مادّة (فجر)

(٩) ينظر: كتاب سيبويه ٢/ ١٤٣،و٣/٤٩٧ ، وينظر : إعراب ثلاثين سورة ،ابن خالويه : ٣٧ ، وينظر: بديع القرآن، ابن أبي الأصبع: ١١٢. وينظر: لسان العرب، ابن منظور: مادة (قسم).؛ والقسم بمعنى الحلف قال صاحب اللّسان في تعريفه للقسم: "اليمين، وكذلك المُقسَم، وهو المصدر مثل المُخرَج، والجمع أقسام، وقد أقسم بالله، واستقسمه به، وقاسمه: حلف له" والقسَم:" وهو أنْ يريد المتكلّم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره، أو ما يكون ذمًّا لغيره، أو جاريًا مُجرى الغزل والتّرقّق، أو خارجًا مخرج الموعظة والزهد" ويشتمل أسلوب القسم على ثلاثةِ أشياءَ:" جملة مؤكّدة، وهي جواب القسم، اسم مقسَم به والاسم المقسم به؛ أو كما يسمّيه سيبويه (المحلوف به)؛ فهو كلّ اسم من أسماء الله تعالى وصفاته؛ ونحو ذلك ممّا يُعظَّم؛ فالقسم حلف، "والحلف توكيد" والاسم المقسم به، أو المحلوف به "مؤكّد به الحديث" ويقول ابن خالويه: إنّ القسم يحتاج إلى سبعة أشياءَ: "حرف القسم، والمُقْسِمِ، والمقسَم به، والمقسَم عليه، والمقسَم عنده، وزمان ومكان"، ويكون القسم بأحرف ثلاثة؛ هي: (الباء، والواو، والتّاء)، ونسمّيها أدوات؛ وهي حروف جرّ تدخل على الاسم؛ فتعمل على جرّه؛ كقولك: واللهِ وباللهِ وتاللهِ، كما يكون بالفعل (أُقسِمُ)، أو ما في معناه من مثل:(أَحلِفُ)؛ و(الباء) هي الأصل في أحرف القسم الثّلاثة؛ وهي تدخل على كلّ مقسَم به؛ سواء أكان اسمًا ظاهرًا أم ضميرًا؛ نحو: (أقسم بالله)، و (أقسم بك)؛ و(الواو) فرع عن الباء، وتدخل على الاسم الظّاهر فحسب. وهي تختصّ بالقسَم من بين حروف الجرّ، ولا يذكر فعل القسم معها؛ فلا يقال: أقسم والله، ولا تدخل على الضّمير؛ فلا يقال: وك. والمُقْسِمُ هو صاحب القسم، والمقسَم به هو الشّيء الّذي تقسم به، والمقسم عليه؛ وهو جواب القسم؛ والغالب أنْ يكون موجودًا في الكلام؛ لأنّه المقصود بالتّحقيق؛ وقد يكون محذوفًا.

(١٠) ينظر : كتاب سيبويه ١/ ٤٥٤، شرح ابن يعيش ٩/ ٩٠.

(١١) ينظر : ارتشاف الضرب ، أبو حيان الأندلسي ٤ / ١٧٦٣ .،وينظر : اللّمع ١٢١ .

(١٢) ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ٦٤٦ ،والإتقان في علوم القرآن ،السيوطي ٤/ ٥٤ – ٥٨

(١٣) كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري ٦٤.

(١٤) شرح الكتاب للسيرافي ٢/ ٩٦ .

(١٥) الكتاب ٢/ ٧٤ .

(١٦) ينظر : التّحرير والتّنوير ، ابن عاشور ٣٠ /٤٢٠ .

(١٧) ينظر : تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ، السيد علي الحسيني الاسترابادي النّجفي ٧٩٣, و البرهان في تفسير القرآن , البحراني ٣٠/ ٢٧٦ .

(١٨) التراكيب النّحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، عبد الفتاح لاشين ١٩٤.
(١٩) ينظر: علم أساليب البيان ، غازي يموت ٣٠٢-٣٠٣.
(٢٠) ينظر : مفاتيح الغيب , الرازي ١٤٩/٣١
(٢١) معاني القرآن للفراء ٢٥٩/٣.
(٢٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٢١/٥.
٢٣(٢٣) ينظر : معاني القرآن , الفراء ٣/ ٢٥٩ , ومعاني القران وإعرابه , الزجاج ٥/ ٣٢١, زبدة التفاسير , الكاشاني ٤١٨/٧ , وتفسير القمي , علي بن إبراهيم ٣/ ١١٥٣ , مجمع البيان , الطبرسي ١٠/ ٢٦٨
(٢٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٣٢١/٥، و الجامع لأحكام القرآن٢٠/ ٣٩ – ٤١ .
("٢٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٣٩ ، و تنوير الأذهان ، البروسوي ٥٤٣/٤.
(٢٦) ينظر : شرح المفصل ، ابن يعيش ٣٦٢/١، يتكوّن هذا الأسلوب من ثلاثة أركان:

١. متكلّم مستفهِم ، وهو الطّرف الّذي يجيب عن طلب الفهم.
٢. مخاطَب مستفهَم ، وهو الطّرف الّذي يسأل بوساطة أداة الفهم.
٣. مستفهَم عنه ، وهو الشّيء المعيّن، أو المجاب عنه.

(٢٧) ينظر : الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ٦٨/٣.
(٢٨) التعريفات ، الجرجاني ١٦.
(٢٩) ينظر : الكتاب ١٠٠/١ ، البرهان في علوم القران ، الزركشي ٤٣٣/٤.
(٣٠) شرح المفصل ١٠٢/٥.
(٣١) المفردات في غريب القرآن ، الأصفهاني ٢٢٢.
(٣٢) ينظر معاني القرآن ٣/ ٢٦٠ .
(٣٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩٤/٣٠ .
(٣٤) حروف المعاني والصفات ، الزجاجي ١٩ .
(٣٥) بدائع الفوائد ابن القيم الجوزية ٢٠٣/١ .
(٣٦) الجنى الداني ، المرادي ٣١ .
(٣٧) ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي ٣ /١٩٦، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري ٦١ .
(٣٨) بدائع الفوائد ١ /٢٠٣-٢٠٤ .
(٣٩) ينظر : مغني اللبيب ٦١ .

(٤٠) بدائع الفوائد ١/٢٠٣-٢٠٤ .

(٣٩) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي١/ ٣٤٩.

(٤٢) ينظر: التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٦٤

(٤٣) ينظر تفسير التبيان ، الطوسي ١١/ ٥٩٧. تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ،الأسترابادي ٧٩٣, و البرهان في تفسير القرآن ، البحراني ٣٠ / ٢٧٦ ، تقول الرواية: حدثنا جعفر بن أحمد قال: حدثنا عبد الله بن موسى عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: يا أيتها النّفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي يعني الحسين بن علي عليهما السلام.

المصادر والمراجع:

- الإتقان في علوم القرآن ، السـيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت٧٤٥ هـ) ، تحقيق : د. رجب عثمان محمد ، مراجعة : د. رمضان عبد التواب ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .
- الإيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، أبو القاسم (ت ٣٣٧ هـ) ، تحقيق : مازن المبارك ، دار النفائس ط٥ ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- بدائع الفوائد ، أبن القيم الجوزية ، أبو عبد الله بن أبي الدمشقي (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا ، و عادل عبد الحميد العدوي ، وأشرف أحمد ، ط١ ، مكتبة نزار مصطفى الباز ،مكة المكرمة ، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦ م .
- البرهان في تفسير القرآن ، البحراني ، هاشم بن سليمان ، مؤسسة متبعت اسمعلين ، قم – ايران ، ١٩٨٠ م .
- البرهان في علوم القرآن ، الزركشـي الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٦٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبي الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ١٣٩١ هـ /١٩٧٢ م .
- تأويل الآيات الظاهرة من فضائل العترة الطاهرة ، الإسترابادي النجفي ، السيد شرف الدين علي الحسيني ، ط١ ، تحقيق و نشر: مدرسة الإمام المهدي/ قم المقدسة ، ١٤٠٧هـ .

- التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ) ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٥م .
- التحرير و التنوير ، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ) ، دار سنحون للنشر و التوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ .
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر ، دكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٠ م .
- التطور الدلاليّ بين لغة الشّعر الجاهليّ والقرآن الكريم ، عودة خليل أبو عودة ، مكتبة المنار ،١٤٠٥ هـ /١٩٨٥.
- التعريفات ، الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت ٨١٦ هـ) ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- تفسير القمي ، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (ت ٣٢٩ هـ) ، تحقيق : السيد طيب الموسوي الجزائري ، ط ٣ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ١٤١٢ هـ .
- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، البروسوي ، الشيخ إسماعيل حقي (ت١١٣٧ هـ) ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، القاهرة – مصر ، دار الصابوني ، خانيونس – مكتبة الجنوب المركزية ، ١٩٨٨ م .
- الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق : هشام النجاري ، ط ١ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- الجني الداني في حروف المعاني ،المرادي ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي (ت ٧٤٩ هـ) ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، و الأستاذ محمد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- حروف المعاني والصفات ، الزجاجي ،أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق : علي توفيق الحمد ، ط١ ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٩٨٤ .
- زبدة التفاسير ، الكاشاني ، المولى فتح الله بن شكر الله الشريف (ت ٩٩٨ هـ) ، ط ١ ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، ١٤٢٣ هـ .

- شرح المفصل ، ابن يعيش ،أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا ، موفق الدين الأسدي (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق : أميل يعقوب ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م .

- شرح كتاب سيبويه من النحو والصرف ، السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨هـ) ، تحقيق : رمضان عبد التواب، و محمود فهمي حجازي ، و محمد هاشم عبد الدايم ،ط ١ ، مصر/ القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

- علم أساليب البيان ، د . غازي يموت ، دار الفكر اللبناني ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م.

- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان (د ت) .

- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور ، رجاء عيد ، ط ٢ ، دار المعارف ، الاسكندرية / مصر ، ٢٠٠٧م .

- الكتاب ، سيبويه ، أبو بشر عمرو بن قنبر (ت ١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام هارون، طبعة القاهرة ، ١٩٦٦ – ١٩٧٧م .

- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري (ت٣٩٥ هـ) ،الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، و محمد أبي الفضل إبراهيم ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، ١٩٧١ م .

- لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) الحواشي : اليازجي ، ط ٣ ، دار صادر بيروت ، ١٤١٤هـ .

- اللمع في أصول الفقه ، الشيرازي ،أبو إسحاق إبراهيم بن علي (ت ٤٧٦هـ) ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م .

- مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي ، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، ط١ ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .

- معاني القرآن ، الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) ، تحقيق : د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، الهيأة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م .

- معاني القرآن و إعرابه ، الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت٣١١هـ) ، تحقيق : عبد الجليل عبدة شلبي ، ط ١ ،عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م .
- مغني البيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت / صيدا ،١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- مفاتيح الغيب ، الرازي ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري ، أبو عبد الله ، فخر الدين (ت ٦٠٦هـ) ، ط ١ ، دار الفكر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي الحلفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ) ، تحقيق : نعيم زرزور ، ط ٢ ،دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ .
- مفردات غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، (د ت) .
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، أبو الحسن ، حازم بن محمد بن حسن ، ابن حازم القرطاجيى (ت ٦٨٤هـ) ، تحقيق : محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي / بيروت ،١٤٣١ – ١٤٣٢ /٢٠١٠ – ٢٠١١ .
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١ هـ) ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م .

<u>البحوث</u>

- نظريات قراءة النّص، مجلة علامات في النّقد، ج٣٩، مج١٠، ٢٠٠١، لمياء باعشن .